[224] قال القرطبي على ما نقل عنه الآبي في كتاب إكمال الإكمال: إن فاطمة رضي ا عنها لما حضرتها الوفاة قالت لأسماء بنت عميس إذا أنا مت فاغسلني أنت وعلي ولا تدخلا أحدا فلما جاءت عائشة لتدخل قالت أسماء لا تدخلي، فشكت عائشة ذلك إلى أبي بكر وقالت: إن هذه الخثعمية تحول بيننا وبين ابنة رسول ا (صلى ا عليه وآله) فجاء أبو بكر فوقف على الباب فقال: يا أسماء ما حملك (1) أن _____ =

خديجة آمنت بي وقومك كافرون وأعانت المؤمنين بمالها وكان قومك مكافحين معادين أو نحوا من ذلك ولولا أن هوى عائشة مع قومها لم يرجح خديجة عليها لأن خديجة أيضا من قريش وقومها من أعداء رسول ا (صلى ا عليه وآله)، ولم يكن من هذه الجهة فرق بينهما لو كان إيمانهما خالصا من شوب الهوى وفي درجة واحدة. وضرب ا مثلا لعائشة وحفصة امرأة نوح وامرأة لوط فخانتاهما وأدرج في خلال القصة قوله: * (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) * الخ، ولا نريد بذلك رميها بالنفاق ولا قدحا في إيمانها على عهد رسول ا (صلى ا عليه وآله) أو في براءتها مما قذفت به على ما في سورة النور، كلا، فإن لها حرمة بحرمة رسول ا (صلى ا عليه وآله) ولكن لم يدع أحد فيها العصمة، وروي موادة من حاد ا عن غيرها من الصحابة مثل أبي لبابة كان من نقباء الأنصار والمؤمنين الأولين منهم الذين بايعوا النبي (صلى ا عليه وآله) في العقبة وقد روى ابن عبد البر في أنه أشار إلى يهود بني قريظة أن لا يقبلوا حكم سعد بن معاذ فإنه سيحكم بالذبح، ونزل في حقه: * (لا تخونوا ا والرسول وتخونوا أماناتكم) * وربط نفسه باسطوانة المسجد للتوبة حتى نزل قبول توبته. وكذلك كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى مكة يخبرهم بعزم رسول ا (صلى ا عليه وآله) على الخروج إليهم، وكان لعثمان هو في قومه تشفع مرارا فيهم عند رسول ا (صلى ا عليه وآله)، ولا يبعد من عائشة وحفصة هوى قومهما مع أن فيهم منافقين وكافرين ولا تضجر النبي (صلى ا عليه وآله) من تواطئهم على عدم إطاعة أهل بيت النبي (صلى ا عليه وآله) إن تأمروا على الانتقام من الأنصار الذين قتلوا صناديدهم ورؤساءهم والأخذ بثأرهم على عادة العرب قديما وحديثا فإن قريشا بعد أن أظهروا الإسلام كرها لم ينسوا قتلاهم في بدر واحد وغيرهما ولم يخرج ضغن رسول ا (صلى ا عليه وآله) وأنصاره أهل المدينة من قلوبهم وتصميمهم على أن لا يقبلوا إمارة أحد بعد رسول ا (صلى ا عليه وآله) إلا أن يتفرسوا فيه المساهلة والمسامحة معهم في الجملة كأبي بكر وعمر حتى يجدوا الفرصة، ولم يكن يخفى هذه الأمور منه (صلى ا عليه وآله). وقد روى المفسرون في تفسير الحديث

الذي أسره (صلى الله عليه وآله) إلى بعض أزواجه أنه إخباره بإمارتهما بعده، وروي ذلك في طرقنا أيضا عن الباقر (عليه السلام)، والمعقول من ذلك أنه لم يكن على وجه البشارة من الله والرضا منه (صلى الله عليه وآله). بل على وجه الشكاية من المنافقين ولا يخفى على كل ملك وأمير حال اتباعه ونيتهم ومقاصدهم وخلوصهم في الخدمة أو عداوتهم باطنا وكيف برسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان يأتيه الوحي وينظر بنور الله وقال تعالى: * (ولتعرفنهم في لحن القول) * ولا يخفى أن تظاهرهما عليه (صلى الله عليه وآله) كان في هذه الأمور الهامة المتعلقة بمصالح المسلمين دينا ودنيا حتى يناسب قوله تعالى: * (فإن الله مولاه وجبرئيل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) * وأمر العداوة مع الضرات والاحماء لا يجاوز صرف قلوب الأزواج عن المحبة أو كسر قصعة وإنكار رائحة لا يليق ذكر ولاية جبرئيل الملائكة وصالح المؤمنين في هذه الأمور التافهة. (ش) (1) قوله " يا أسماء ما حملك " كانت أسماء زوجة أبي بكر حينئذ ومع ذلك منعته بوصية فاطمة (عليها السلام) وأخفت موتها ودفنها ولم يعلم أبا بكر به أمانة ولم يكن الأمر في دولة بني أمية وبني العباس كذلك إذ ما كان = (*)